والمقصود من هذا العطف التنبيه على أن كف أيدي الناس عنهم نعمة على المسلمين باستبقاء قوتهم وعدتهم ونشاطهم .

قاتلهم فلو النصر عاقبة للمسلمين قدر ا لأن إياهم المشركين غلبة لدفع الكف وليس A E الذين كفروا لهزمهم المسلمون ولم يجدوا نصيرا أي لم ينتصروا بجمعهم ولا بمن يعينهم .

والمراد بالذين كفروا ما أريد بالناس في قوله (وكف أيدي الناس عنكم) . وكان مقتضى الظاهر الإتيان بضمير الناس بأن يقال : ولو قاتلوكم فعدل عنه إلى الاسم الظاهر لما في الصلة من الإيماء إلى وجه بناء الخبر وهو أن الكفر هو سبب توليه الإدبار في قتالهم للمسلمين تمهيدا لقوله (سنة ا التي قد خلت من قبل) .

و (الأدبار) منصوب على أنه مفعول ثان ل (ولوا) ومفعوله الأول محذوف لدلالة ضمير (قاتلكم الذين كفروا) عليه . والتقدير : لولوكم الأدبار .

و (ال) للعهد أي أدبارهم ولذلك يقول كثير من النحاة إن (ال) في مثله عوض عن المضاف إليه وهو تعويض معنوي .

والتولية : جعل الشيء واليا أي لجعلوا ظهورهم تليكم أي ارتدوا إلى ورائهم فصرتم وراءهم .

و (ثم) للتراخي الرتبي فإن عدم وجدان الولي والنصير أشد على المنهزم من انهزامه لأنه حين ينهزم قد يكون له أمل بأن يستنصر من ينجده فيكر به على الذين هزموه فإذا لم يجد وليا ولا نصيرا تحقق أنه غير منتصر وأصل الكلام لولوا الأدبار وما وجدوا وليا ولا نصيرا .

والولي : الموالي والصديق وهو أعم من النصير إذ قد يكون الولي غير قادر على إيواء وليه وإسعافه .

والسنة : الطريقة والعادة .

وانتصب (سنة ا) نيابة عن المفعول المطلق الأتي بدلا من فعله لإفادة معنى تأكيد الفعل المحذوف . والمعنى : سن ا ذلك سنة أي جعله عادة له ينصر المؤمنين على الكافرين إذا كانت نية المؤمنين نصر دين ا كما قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا ا ينصركم ويثبت أقدامكم) وقال (ولينصرن ا من ينصره) أي أن ا ضمن النصر للمؤمنين بأن تكون عاقبة حروبهم نصرا وإن كانوا قد يغلبون في بعض المواقع كما وقع يوم أحد وقد قال تعالى (والعاقبة للمتقين) وقال (والعاقبة للتقوى) .

وإنما يكون كمال النصر على حسب ضرورة المؤمنين وعلى حسب الإيمان والتقوى ولذلك كان هذا

الوعد غالبا للرسول ومن معه فيكون النصر تاما في حالة الخطر كما كان يوم بدر ويكون سجالا في حالة السعة كما في وقعة أحد وقد دل على ذلك قول النبي صلى ا عليه وسلم يوم بدر : " اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض " وقال ا تعالى (قال موسى لقومه استعينوا با واصبروا إن الأرض يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين) ويكون لمن بعد الرسول صلى ا عليه وسلم من جيوش المسلمين على حسب تمسكهم بوصايا الرسول صلى ا عليه وسلم .

ففي صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى ا عليه وسلم " يأتي زمان يغزو فآم من الناس فقال : فيكم من صحب النبي ؟ فيقال : نعم فيفتح عليه ثم يأتي زمان فيقال : فيكم من صحب أصحاب النبي ؟ فيقال : نعم فيفتح ثم يأتي زمان فيقال : فيكم من صحب من صاحب النبي ؟ فيقال : نعم فيفتح " .

ومعنى (خلت) مضت وسبقت من أقدم عصور اجتلاد الحق والباطل والمضاف إليه (قبل) محذوف نوي معناه دون لفظه أي ليس في الكلام دال على لفظه ولكن يدل عليه معنى الكلام فلذلك بني (قبل) على الضم .

وفائدة هذا الوصف الدلالة على اطرادها وثباتها .

والمعنى : أن ذلك سنة ا مع الرسل قال تعالى (كتب ا لأغلبن أنا ورسلي إن ا قوي عزيز) .

ولما وصف تلك السنة بأنها راسخة فيما مضى أعقب ذلك بوصفها بالتحقق في المستقبل تعميما للأزمنة بقوله (ولن تجد لسنة ا تبديلا) لأن اطراد ذلك النصر في مختلف الأمم والعصور وإخبار ا تعالى به على لسان رسله وأنبيائه يدل على أن ا أراد تأييد أحزابه فيعلم أنه لا يستطيع كائن أن يحول دون إرادة ا تعالى .

(وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم وكان ا بما تعملون بصيرا [24]) عطف على جملة (وكف أيدي الناس عنكم) وهذا كف غير الكف المراد من قوله (وكف أيدي الناس عنكم) .

A E